غاب معنى الموقف كذلك عن قدامة بن جعفر حين قرر أن الرثاء والمدح شيء واحد ، فقال : « ليس بين المرثية والمدحة فضل إلا أن يذكر فى اللفظ ما يدل على أنه لهالِكٍ .. وهذا ليس يزيد فى المعنى ولا ينقص منه[١٦] » . وفى هذا الكلام غَفْلة تامة عن الموقف ، إذ إنه على الرغم من أن الرثاء مدح لهالك ، فالموقفان مختلفان فى البواعث النفسية ، وما يترتب عليها من تخير المعانى ، ومن طرق الصياغة ، ومن الشعور العام الذى يتجلى فيه طابع القصيدة .

وما ذكرنا الأمثلة السابقة – وهى من باب الموازنات الأدبية فى داخل الأدب الواحد – إلا ليتضح الفرق بين الموقف والموضوع ، وليظهر الخطأ فى خلط كل منهما عند النظر إلى العمل الأدبى فى ناحية الصور وصياغتها الفنية .

(١٦) قدامة بن جعفر : نقد الشعر ، ص ٥٩ .